دور اللغات في نماء الفكر الإنساني في حياتنا المعاصرة

د. أبكر عبد البنات آدم إبراهيم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة بحري، السودان

ملخّـــص

تناولت هذه الدراسة موضوع دور اللغات في نماء الفكر الإنساني في حياتنا المعاصرة، لما للغة من دور متعاظم في تنمية الفكر الانساني وفي تنظيم السلوك البشري، مما ينعكس إيجاباً في استقرار نظم الحياة المختلفة. وتأتي أهمية هذه الورقة في توظيف اللغات الحية والعمل على تدريسها لتقوم بدوها في النمو الفكري وفي تنظيم السلوك والاخلاق. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن مفهوم اللغة ونشأتها وخصائصها مع تبيان دورها في تنمية المجتمع.

Abstract

This study takes the issue of the role of languages in the development of human thought in our contemporary life today, because of the role of language in the development of human thought and in the systematizing of human behavior, which is reflected positively in the stability of the various life systems. The importance of this paper in the recruitment of vitality of languages and taught to work on the commencing in intellectual growth in the improving of behavior and ethics. The Researcher uses descriptive analytical method has been used for the findingout the concept of language and the evolution and characteristics show with its role in the development of community.

مقدمـــــة:

بدأت فكرة اللغة مع بداية الوجد البشري على هذه البسيطة،عندما أدرك الإنسان أن الاتصال بمستوياته المختلفة تشكل لغة التواصل والتخاطب مع الآخرين، إيذاناً بمعرفة العلاقة بين المتكلم أو المتحدث والمستمع، وذلك عبر وجود قناة الاتصال لتحويل الرسالة إلى رموز يسهل من عملية النطق أو الكتابة.فالقدرة على استخدام اللغة هو أساس نجاح العلاقة الاتصالية سواء كانت ذاتية أو فردية أوجماعية، وهنا تختلف السمة اللغوية أو الاتصالية بين الإنسان والحيوان طبعاً لاختلاف البينة التكوينة بينهما، فالإنسان وحده هو الذي يعتبر قادراً على استخدام النظم المعقدة في فك رموز الرسائل المرسلة له، سواءً كان في شكل أصوات أو إشارات أو منبهات عقلية، لأن الجانب الوجداني والعقلي يلعبان دوراً كبيراً في معرفة المحتوى والمضمون. وعلى الرغم من كثرة المظاهر المتضمنة في عملية اللغة إلا أن طبيعتها الرمزية جعلها غالباً ما تعتمد على الأصوات للرمز على الأشياء أو الأحداث التي توجد في البيئة المعبرة عن اشكال التنوع والتعددية، لذلك فإن الطبيعة الرمزية للغة تعتمد على التطابق بين الاشارات والدلائل التي تمكن المتكلم من تحقيق رغباته .وقد تناولت دور اللغات في نماء الفكر الإنساني من أجل ترقية الحياة وتعميرهـــــــا.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في التركيز على مجموعة من القضايا التي تتعلق بدور اللغات في نمو الفكر الإنساني، والكشف عن مسارات اللغات المختلفة لمواكبة خاصية التفاهم والاستيعاب والإنتاج، وتحسين نمط التفكير بأهمية اللغة في حياة الإنسان.وإبراز دور اللغة في المحافظة على الهوية الثقافية والاجتماعية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى وضع الصيغ الموضوعية التالية:

* الكشف بأن اللغة تمثل جزء من الرسالة الإلهية.
* التأكيد بأن اللغة هي عملية اتصال وتواصل يهدف إلى بيان مدى قدرة المستخدم على إرسال رسائل يمكن أن تسهم في التنمية البشرية.
* الإلمام بأن اللغة تشكل محور من محاور الهوية الثقافية والفكرية والاجتماعية والإعلامية.
* الكشف عن الدور التاريخي للغات في بناء المجتمعات التقليدية والمعاصرة.
* إستجلاء مكانة اللغة في المؤسسات التربوية والتعليمية.

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

* إلى مدى تشكل اللغة لسان حال الأحياء؟

* كيف يمكن استثمار اللغة في تنمية المجتمع؟
* ما أثر اللغة على العملية الاتصالية؟
* هل هنالك دور للغة في نمو الفكر الإنساني؟
* هل هنالك تشابه بين خصائص ووظائف اللغات؟

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي للوصول إلى نتائج وتوصيات يمكن أن تسهم في حل مشكلة الدراسة.

مفهوم اللغة ونشأتها:

مفهوم اللغة لغوياً:

أصلها لغى ولغو والهاء عوض، وجمعها لغى ولغات أيضاً، والنسبة إليها لغوى، واللغا: الصوت، ويقال أيضاً لغى به: أي لهج به(ابن مظور1956م:124). واللغو النطق، يقال: هذه لغتهم التي ينطقون بها، فاللغات هي الألسن، وهى فعلة من لغوت: أي تكلمت، أصلها لغوة والجمع لغات ولغون(الرازي1950م:342).

مفهوم اللغة اصطلاحاً: يرى ابن جني» بأنهاعبارة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. أما ابن سنان الخفاجي فذكر بأنها:»ما تواضع القوم عليه من الكلام». فهي وسيلة من وسائل التواصل، لقوله تعالى:{**فَإِنَّمَايَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**} الدخان58. وعرّف آخرون اللغة بأنها « مجموعة من الرموز تمثل المعاني المختلفة أو هي نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال، وهى مهارة اختص بها الإنسان، وتشمل الكلمات واللهجة والنغمة الصوتية والإشارة وتعبيراتالوجه والجسم، وأية رموز أخرى تستعمل للتعبير»(زاهد2000م:23). فالمقصود باللغة الكلمات التي يستعملها الناس نطقاً أو كتابة للتعبير عن أغراضهم(كالعربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والهندية والصينية واليابانية... وغيرها)(سمك1998م:29)، فاللغة والفكر والمجتمع هي ظواهر متداخلة تؤدى إلى تطور الحياة وقيام الحضارة الإنسانية الراقية. ولما كانت اللغة قديم قُدم الإنسان فلا نجد تجمعاً إنسانياً إلا ونجد له وسيلة للتفاهم مع الآخرين، وأداة يعبر من خلالها عما يجول في الخلد من أفكار ومعان، والتي تتشكل في شكل رغبات وتطلعات... وأحاسيس(حجازي1993م:21). فلغة الأمة هي وعاء فكرها وعواطفها، ولما كانت الفكر والعاطفة عرضه للتغيير، فإن اللغة تخضع بدورها للتغير، حيث تتغير وفق الظروف التي تمر بها الجماعة الإنسانية. ولما كانت اللغة تشمل كل ما قاله أو يقوله أو سيقوله أي فرد من أفراد المجتمع فإنها تشكل الإطار الاجتماعي، الذي يتم من خلال صورتين: إما النطق وإما الكتابة،وهنا تستلزم معرفة المحتوى والمضمونللكشف عن

ميكانيكية النشاط الذهني في الفرد أولاً ثم ما يفرضه المجتمع على هذا النشاط النفسي الفردي من قواعد سلوكية واجتماعية.

فالإنسان من المخلوقات الفريدة لامتلاكه لهذه الوسيلة التي يستطيع بها أن يحرر نفسه من سجن الحاضر. ويقول فندريس Vedryes: إن الحيوان لا يستخدم الصوت علامة لشئ آخر كما يستخدمه الإنسان، وإنما يستخدمه كردة فعل انعكاسية(شوقي1993م:121). فهنالك فرق بين استخدام الصوت كعلامة وبين استخدامه كردة فعل، لأن الأول يمكن التعبير به عن الأشياء في حال غيابها، وأما الثاني هو تعبير مرتبط بالحاضر لمقابلةالحالات النفسية التي تطرأ على رغبات الإنسان. ويرى بعض علماء النفس أن اللّغةهي مجموعة الإشارات تصلح للتعبير عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرةٍ ذهنيةٍ، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرّة أخرى، وذلك بتأليف كلماتٍ ووضعها في ترتيبٍ خاصٍيعرفبعلم الصرف Morphology هو العلم الذي يعرف به أحكام الكلمات العربيّة حال إفرادها وتركيبها(الغلاييني1992م:162). ويرى بعض علماء اللغة أن لغات العالم تنقسم إلى عائلات لغوية عالمية، كاللغات الأفريقية الآسيوية واللغات الهندية الأوروبية، حيث تحوي كل منها عدداً من اللغات ذوات الأصول والخصائص المتشابهة، وقائمة حسب عدد متحدثيها.ولغات ولهجات محلية تختلف باختلاف البيئة والطبيعة. ويقول فخر الدين الرازي كان يمكن للناس أن يستعملوا غير الصوت للتعبير، كالحركات المخصوصة بأعضاء الجسم، ولكنهم وجدوا الأصوات المتقطعة أولى من غيرها للأسباب التالية:

* إدخال الصوت إلى الوجود أسهل من إدخال غيره لأنه يتولد في كيفية مخصوصة في إخراج النفس.
* يدخل الصوت بسهولة بمجرد استعماله.
* الصوت قابل للإشارة إلى المعدوم والغائب وغير المرئي، وأما الإشارة فإنها قاصرة عن ذلك.
* الصوت يمكن الإشارة به إلى المعاني المتعددة المرتبطة بشيء واحد.
* الصوت يمكن استعماله في الظلام ومن وراء حجاب بينما الإشارة لا يمكن استخدامها إلا مع وجود النور، وإمكان الرؤية.

وإلى ما تقدم يمكن القول بأن الإنسان القديم كان مهدداً بأنواع من المهالك والأخطار، لذلك كان لا يستخدم الصوت إلا في حالات معينةلتحقيق استمراره وبقاء نوعه. اذن اللغة Language ليست الوسيلة الوحيدة للتعبير فهنالك الإشارات والأصوات

والحركات والرقص والغناء والموسيقى والنحت والرسم... وغيرها. وقد يتأثر الانسان بالتعبير الصوتي التي تعبر عن الحالة النفسية اتجاه السلوك والاتجاهات، لقوله تعالى:{عَلَّمَهُالْبَيَانَ }الرحمن4. ويتمثل النظام اللغوي في القواعد النحوية والصرفية والمعجميةالمكتسب المخزونة في الذاكرةMemory غاياتها إنتاج رسائل مسموعة الهدف منهاتواصل المشاعر والأفكار»(حسان1972م:11)، ومن أشهر النظم،منها:

- النظام الدلالي Semantic System: وهو الذي يتعلق بمعنى الكلمات ودلالتها وتطورها.
- النظام التركيبي Syntactic System: وهو النظام الذي يتعلق ببناء الجمل وترتيب الكلمات في الجملة وقواعد الإعراب.
- النظام الصرفي Morphologic System: وهو النظام الذي يتعلق بالتغيرات التي تطرأ على مصادر الكلمات من الناحية الصرفية.
-النظام الصوتي Phonologic System: وهو النظام المتعلق بالأصوات الكلامية، وبالأصوات الخاصة بالاستخدام اللغوي.

نظريات نشأة اللغة:

اختلاف العلماء قديماً وحديثاً عن نشأة اللغة، فالبعض يرون أن نشأة اللغة بدأت مع وجود الخلائق على هذه البسيطة، عندما عرف الانسان الأول قيمة الحياة الاجتماعية، ومغالبته للمظاهر الطبيعية، حينها أدرك قيمة اللغة الكلامية التي كانت أقرب إلى أصوات الحيوانات منها الى كلام البشر، وذلك لبدائية جهاز النطق، ثم أخذت تتسم بالوضوح والدقة تدريجياً مع تطور الانسان وتكامل نضجه ككائن حي ينشأ ويتطور وفق ظروفه البيئية، ووفق ضرورياته وحاجاته. واللغة في حقيقتها هي التي جعلت الإنسان يتخطى حدود خبرته الشخصية لاحتكاكه بمظاهر الطبيعةNatural pheno-menan ، وشأن الإنسان الناطق بالطبع ليس أقل من شأن الحيوان الأعجم الذي يملك قوة الارادة والتمييز في الدفاع عن نفسه.فبالقدرة على التعبير يمكن أن يعبر عن مشاعره باصدار الأصوات الفطرية التي أودعها الله تعالى إياه، ومن هنا تعددت الآراء والفرضيات حول تفسير ظاهرة نشأة اللغة العربية، من حيث اعتماد المعقول والمنقول. ومن أهم هذه النظريـــــــات:

1. نظرية محاكاة أصوات الطبيعة:

تذهب إلى أن أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة، كأصوات الحيوانات وأصوات مظاهر الطبيعة، والتي تحدثها الأفعال عند وقوعها، ثم تطورت الألفاظ الدالة على المحاكاة.

2. **نظرية الإلهام والوحي والتوقيف:**

وتذهب إلى أن اللغة وحي من عند الله، لقوله تعالى{**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**})البقرة31:). فالله سبحانه وتعالى قدر الإنسان على وضع الألفاظ اللغوية، وذهب أحمد بن فارس (ت 395هـ)إلى أن لغة العرب توقيفية. ويبدو من قول ابن فارس أن اللغة العربية هي لغة آدم عليه الصلاة والسلام.وقد ذكر السيوطي عن ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس، أن آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية(السيوطي،بدون تاريخ:93).ويرد القائلون بالتوقيف إلى: أنه سبحانه وتعالى ذم قوماً في إطلاقهم أسماء غير توقيفية في قوله تعالى:{**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** }(الروم:22).

3. **نظرية الاتفاق والمواضعة والاصطلاح:**

وتذهب إلى أن اللغة ابتدعت بالتواضع والاتفاق و ارتجلت ألفاظها ارتجالاً، ومن أنصار هذه النظرية ابن جني وغيره، وليس لهذه النظرية دليل، غير أنهم يشيرون إلى أن كل شيء لا يرتجل ارتجالا بل يتكون بالتدرج. ومال كثير من العلماء والمفكرين إلى هذه النظرية، منهم:الفيلسوف اليوناني ديموكريط وأرسطو والمعتزلة... وغيرها.

4. **نظرية الاستجابة الصوتية للحركة العضلية:**

نظرية yo_he–ho: تفترض هذه النظرية أن اللغة بدأت بأصوات غير مقصودة كانت تصاحب النشاط الجسماني للبشر، وأنّ هذه الأصوات كان يراد منها تنظيم إيقاع العمل. ثم تطورت هذه الأصوات غير المقصودة مع الزمن لتصبح أغان وأناشيد وشعراً.

5. **نظرية** Bow-Wow**:**

ويرى أصحابها، أن اللغة نشأت من تقليد أصوات الطبيعة، وهي النظرية التي أشار إليها ابن جني بقوله: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من الأصوات المسموعات

6. **نظرية فندريس** Vedryes**:**

يرى فندريس في نظريته أن اللغة كانت لدى الإنسان الأولى انفعالية محضة. ويرى أن الحيوان لا يستخدم الصوت علامة لشيء آخر كما يستخدمه الإنسان، وإنما يستخدمه كردة فعل انعكاسية. وهناك فرق بين استخدام الصوت علامة وبين استخدامه ردة فعل لأن الأول يمكن التعبير به عن الأشياء في حال غيابها، وأما الثاني فتعبير مرتبط بالحاضر ويقابل حالات نفسية خاصة من فرح ورعب ورغبة.

7. نظرية الأصوات التعجبية العاطفية:

نظرية pooh _ pooh : تذهب إلى أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة تعجبية عاطفية، صدرت عن الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من فرح أو وجع أو حزن أو استغراب.

8. نظرية النشوء والتناسل:

ترى هذه النظرية أن اللغة نشأت بالفطرة، وبشكل تلقائي، فتفترض أن اللغة نشأت متكاملة في لحظة معينة ثم أعقبها التوالد والتكاثر. وتعتمد هذه النظرية اعتماداً كثيراً على معطيات نظرية Darwin دارون في النشوء والتطور والارتقاء. بيد أن هنالك من يرى بأن أطوار تطور لغة الإنسان القديم قد مرّبمراحل مختلفة، منها:

1 - مرحلة الأصوات الانبعاثية الساذجة حين كانت أعضاء النطق غير ناضجة وغير واضحة.
2 - مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بإشارات متنوعة.
3 - مرحلة المقاطع التي أصبح الإنسان فيها ينطق أصوات محددة المعالم في صورة مقاطع قصيرة محاكية أصوات الحيوانات والأشياء الأخرى.
4 - مرحلة تكوين كلمات، وهذه تمثل الجذور اللغوية الأولى التي استعملها الإنسان الأول لقضاء حاجاته.

أما في الأنماط الحديثة هنالكاللغات الاصطناعية التي تحكي عن الأنظمة اللغوية الحديثة. ولغات البرمجةوهي أساليب معيارية لإيصال التعليمات إلى الحواسب بطرق مختلفة. وعلم اللغويات: وهودراسة اللغات البشرية: تاريخها، وبنائها نحواً وصرفاً، ونظم الصوتيات والكتابة أنظر الشكل رقم(1).

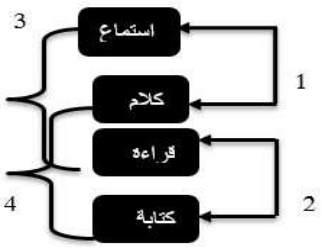

الشكل رقم(1) يوضح أركان الموقف اللغوي.

وظائف اللغة Language Funtions**:**

إن اللغة هي وسيلة الفرد لقضاء حاجاته، وتنفيذ مطالبه في المجتمع، وبها أيضاً يناقش شئونه ويستفسر، ويستوضح، وتنمو ثقافته، وتزداد خبراته نتيجة لتفاعله مع البيئة التي ينضوي تحتها. وبواسطة اللغة يؤثر الفرد في الآخرين ويستثير عواطفهم، كما يؤثر في عقولهم(وافي،بدون تاريخ:11). فاللغة هي مستودع لكل تراث ثقافي أو حضاري، والرباط الذي يربط به أبناءه فيوحد كلمتهم، ويجمع بينهم فكرياً والجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر لبناء المستقبل. وأياً ما كانت تعريفات اللغة، فإن الوظيفة الاتصالية تقف في مقدمة الوظائف. فالمواقف التي يحتاج إليها الفرد إلى استعمال اللغة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال فقط:

1. **الوظيفة النفعيةInstrumental Function:** ويقصد بها استخدام اللغة للحصول على الأشياء المادية مثل : الطعام، والشراب.
2. **الوظيفة التنظيمية RegulatoryFunction:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل إصدار أوامر للآخرين، وتوجيه سلوكهم.
3. **الوظيفة التفاعلية InteractionalFunction:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تبادل المشاعر، والأفكار بين الأفراد.
4. **الوظيفة الشخصية PersonalFunction:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل أن يعبر الفرد عن مشاعره، وأفكاره.
5. **الوظيفة الاستكشافية HeuristicFunction:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل الاستفسار عن أسباب الظواهر، والرغبة في التعلم منها.
6. **الوظيفة التخيلية Imaginative Function:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل التعبير عن تخيلات وتصورات وإبداعات، وإن لم تتطابق مع الواقع.
7. **الوظيفة البيانيةRepresentationalFunction:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تمثل الأفكار والمعلومات، وتوصيلها للآخرين.
8. **الوظيفة الشعائريةRitualFunction:** ويقصد بها استخدام اللغة لتحديد شخصية الجماعة، والتعبير عن سلوكهم.

خصائص اللغـــة:

تمتاز اللغة حسب مكوناتها إلى مجموعة من الخصائص، منها:

1. **اللغة نظام رمزي:** أي يتكون من الوحدات الصوتية والمقطعية والكلمات والجمل والتراكيب.
2. **اللغة هي علامات:**أي أنهاالمجموع الناجم عن ارتباط الدال بالمدلول. ويقصد بذلك أن

العلامة ليست لفظاً مجرداً عن معنى، بل هي لفظ يفهم منه معنى عند إطلاقه، ولا يمكن الفصل بين الدال، والمدلول.

3. اللغة نظام صوتي: إذا نظرنا في أصوات كلمة ضرب مثلا في اللغة، تأملنا في سبب اختيار العرب لهذه الأصوات بالذات للتعبير عن معنى الضرب.

4.اللغة نظام دلالي: أي نظام ذات معاني دلالية متفقة إليها، وبدون هذا الاتفاق لا يحدث الاتصال بين المرسل والمستقبل. فمستخدم اللغة يركب المصرّفات، والكلمات الموضوعة على أوجه مختلفة تناسب المعنى المراد نقله لمخاطبه.ويتوقف نظم التراكيب اللغوية التي يستخدمها المتكلم على نوعين من العلاقات(الجرجاني1983م:42):

أ- اللغة منهج للتعبيروالاستبدال: فليس بإمكان المتكلم أن يقول طلاباً، أو طلابٌ، أو طالبٍ أو نحو ذلك. وإنما سميت هذه العلاقة بعلاقة التشابه؛ لأن الكلمة المذكورة تشبه الكلمات المحذوفة في المعنى، وإن اختلفت معها في الشكل.

ب- اللغة منهج لبناء العلاقات الاتصالية: إن المعنى الذي يعبر عنه المتكلم محكوم بنوع آخر من العلاقات يسمى العلاقات الإتصالية، ويسميها البعض بالعلاقات الترابطية-As sociative.

5.تحمل اللغة منهج قابلية التجزئة: لما كانت العلامات اللغوية وحدات ائتلافية منظمة، فذلك يعني أن المتكلمين بإمكانهم أن يجزئوا تلك العلامات، ويعيدوا تركيبها للتعبير عن معنى مغاير مثلما يفعل الطفل بألعاب الفكّ، والتركيب حين يرسم أشكالاً مختلفة بإعادة الفك والتركيب(علي1993م:24).وتسمى هذه الخاصية اللغوية بالتجزئة المزدوجة Double Segmentation.

6. الإنتاجية: من أهم الخصائص التي تميز اللغة البشرية عن لغات الحيوانات ما يعرف بالإنتاجية Productivity التي تعني أن المتكلمين يستطيعون أن ينطقوا بتركيبات مختلفة.

7.اللغة منهج لحفظ التراث الثقافي: تتسم لغات الحيوانات بكونها ردود فعل غريزية موروثة، وليست مكتسبة،وفي هذا تختلف عن اللغة البشرية اختلافاًكبيراً، إذ تتنوع اللغات بتنوع المجتمعات، والثقافات. فاللغة تنتقل من جيل إلى آخر بالتعلم، وليس بالوراثة، وهذا ما يسمى بالنقل الثقافي Cultural Transmission(24 :1996Yule).

8. اللغة نامية: اللغة هي نظام متحرك ومتطور، وليست جامدة، وتتحسن مع تقدم العمر، وعند تحديد الهدفTarget. فالأمة الحية متطورة في سماتها اللغويةLinguistic Transfer، وبعيدة عن الصراع اللغويLinguistic Conflict .

9. اللغة حالة اجتماعية: تمثل اللغة شكل من أشكال النمط الاجتماعي على مستوى الأفراد والجماعات، لأنها تشكل إحدي أدوات التفاعل الاجتماعي.

10. للغة خاصية إنسانية: إن التساؤل عما إذا كانت اللغة ظاهرة خاصة بالإنسان أم

أنها مشتركة ما بين الإنسان والحيوان نابع من ملاحظة بعض المظاهر التواصلية لدى الحيوان، الشيء الذي يدفع البعض إلى الاعتقاد بأن هناك لغة خاصة بالحيوانات ولكننا نحن بني البشر لا نستطيع فهمها إلا من خلال التعلم الرسمي Formal Learning.

اللغة ودورها في نماء فكر الانسان:

تشكل اللغة محور من محاور الاتصال المستمر، ونمط من أنماط التطور بفعل التغيرات التي تحيط بها سواء في المحيط العام أو الخاص. وهذا الحراك الدائم يؤدي إلى تكوين مفردات ومصطلحات وتعبيرات لغوية جديدة منها ما يكون من ذاتية اللغة، ومنها ما يستنبطه الآخرين من لغات أخرى فينميها، فيعطي الناطقين بها مجالاً وقدرة أكبر للتعبير، وتعزيز سبل تحقيق الحاجات والغايات. وهنا ينتشر مفهوم التوسع المعرفي والتقدم العلمي والتطور التكنولوجي التي تقتضي جميعها استعمال عدد متزايد من الألفاظ والتعبيرات المستحدثة.

ومن هنا كانت للغةأهمية كبربلمواكبة ومسايرة الحضارات، وعلى ذلك تحتل المصطلحات مكانة كبيرة في التنمية اللغوية ورفد اللغة بكثير من الألفاظ والتعبيرات الجديدة، وخاصة في العلوم التطبيقية والتقنية والإنسانية والاجتماعية. ويأتي هذاالدور كمؤشر للإنسان عندما يريد أن يرسل الإشارات المرسلة إلى المستقبل، ويستطيع فك تلك الرموزللإجابة على الأهداف التربوية والتعليمية.وقد شهدت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل وما تزال تشهد دخول مفردات وألفاظ ومصطلحات عديدة من لغات الشعوب المجاورة والبعيدة كالفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية. ويعرف هذا الانتقال للمفردات من لغة لأخرى بالاقتراض المعجمي أو المفرداتي، وقد يسمى بالاستعارة اللغوية(حجازي1978م:23). ومما لاشك فيه أن الاقتراض اللغوي من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ساهم في تكوين الكثير من المصطلحات وتنميتها. فاقتراض الألفاظ عمل يقوم به الأفراد كما تقوم به الجماعات وفي العصور الحديثة قد تقوم به أيضاً الهيئات العلمية والمجامع اللغوية... وغيرها. وللاقتراض اللغوي دوافع وأسباب متعددة منها ما يكون فردياً كرغبة في التمييز، أو بإظهار إتقانه. ثم ما يلبث أن يصبح جماعياً، كالحاجة لسد نقص ما في اللغة المستعيرة(الشوري1985م:43).

فالإنسان لا يستطيع أن يفكر بمعزل عن اللغة، لإن قدرته الفطرية يمكن أن تعاني من ضمور حاد إذا ما تحققت خارج دائرة التواصل، حيث تتحقق إنسانيته من خلال نسج الروابط المعقودة داخل المجموعة البشرية، وهذا ما ذهبت إليه أغلب العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع الذي يعرف الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً، وكذا علم النفس الذي يقرر السمات الشخصية، وأيضا علم الإجرام الذي يقر بقطع العلاقات

التواصلية أو ما يعرف بالحبس الانفرادي، وهو من أقصى العقوبات التي توقع على الكائن البشري. فالمتكلم المثالي يمتلك قدرة لغوية تمثل استعداداً فطرياً لتمثل بنيات الوحدات اللسانية غير المحدودة تؤهله لإنتاج عملية تواصلية بينه وبين الآخرين. فإذا كانت اللغة مولدة للتفاعل الداخلي الذي تتشاكل فيه الفعاليات الذهنية والنفسية والعضوية فإن مقاسمة العملية التفاعلية مع الواقع المحيط تنتفي سمته الوجودية بانتفاء المثير النوعي والمحفز الخارجي. لذلك فإن تحقيق الواقع اللغوي يكافح وازع الصراع المجتمعي، إذا كان هنالك استراتيجيات تواصلية على أساس تعدد لغوي تكاملي، فالمساحة التي يتيحها التواصل يصبح مجالاً خصباً للتداول السلمي للغة مع مراعاة الحقوق الطبيعية لكل طرف لغوي، انسجاماً مع مقتضيات التواصل التي ترمي إلى تأسيس بيئة متكاملة ومنسجمة تقوم على مفهوم التعايش والتسامح، وهو ما أكده الإعلان العالمي للحقوق اللغوية، حيث ذهب إلى أن وسيلة الحفاظ على لغة وضمان حقوق مستعمليها، تتمثل في التوفر على حدود آمنة واعتماد تلك اللغة كوسيلة في التعليم ومادة للتعلم ضمن البرامج التربوية(الفهرس2003م:3). فإذا كانت اللغة هي ذلك النظام الرمزي التي تحتوي على قيم الهوية والانتماء، فإن البحث اللساني يمثل شكل من أشكال البناء المجتمعي التي تسعى على تحقيق توافق مجتمعي حول المسارات التالية:

* تأهيل مجتمع لغوي يستطيع تداول اللغة بصفة رسمية مستوعبة كل تضاريس العصر والحياة، ومحافظة على هويتها التاريخية.
* اعتماد تصور لغوي وظيفي تعددي يمثل جميع المكونات اللغوية للمجتمع.
* تجسير العلاقات التواصلية بالعالم عبر اللغات الأكثر تداولاً في المجال العلمي والإنتاج الفكري، تفادياً لسيطرة لغة واحدة تحقيقاً لمناخ التنافس اللغوي التي تساهم في التنمية الحضارية والثقافية بصفة مستمرة.
* تفعيل التأثير اللغوي في المجال التكنولوجي والاقتصادي والسياسي والإعلامي وغيرها.

وعلى الرغم من أن للترجمة دور حيوي وهام في نقل المعرفة الإنسانية كونها أداة فاعلة للتواصل مع الثقافات الأخرى وناقلاً معرفياً لمنجزات العصر الثقافية والعلمية والتقنية، إلا أنها في ذات الوقت من أخطر الأدوات، لأن المترجم يجب أن يكون مؤتمناً على ما يترجم، وأن تكون الترجمة وسيلة وليست غاية، بل لابد من التحري الدقيق لما ينفع الناس فينقل. والترجمة ذات أهمية كبرى في تنمية اللغة ورفدها بالكثير من المصطلحات والألفاظ والتجارب الإنسانية والأفكار الخلاقة التي تُعمل الفكر فتحفز الإنتاجية وتعزز قيم التقدم(المبارك1981م:215). ولذا عنيت الأمم بالترجمة كوسيلة رائدة لمعرفة اللغات الاخرى، ويمكن معرفة الألفاظ والمصطلحات التي تحافظ على كيان الأمة ومكانتها. فالترجمة من العوامل اللغوية الهامة التي يجب أن تحظى بالعناية الفائقة والاهتمام

الكبير من القائمين على شأن اللغة العربية إذ يمكنها تعزيز التطور العلمي للأمة وتوسيع آفاق البحث مما يحقق للأمة أمناً شاملاً يحفظها من التحديات التي تحيط بها من كل مكان. وقد نشأت في العديد من الدول المتقدمة مراكز مختصة بنقل كل جديد لتكون اللغة المُترجَم إليها مستودعاً كبيراً لذخائر الأمم الأخرى(لطفي1981م:11). ومما يؤسف له أن حركة الترجمة في الوطن العربي ما تزال ضعيفة ودون المستوى المطلوب، فوجود مراكز هنا وهناك لا يمكنه أن يساهم في إحداث حركة ترجمة قوية تفيد الأمة من محيطها إلى خليجها فعصور الازدهار العربي كان للترجمة فيها دور كبير وما عهد المأمون ببعيد.

أما الوجه الآخر لإشكالية العلاقة بين اللغة والفكر هي إشكالية التواصل بمعنى هل تعبر اللغة عن الأفكار بشكل شفاف وواضح، أم أن اللغة مجرد وسيلة للإخفاء والكتمان أو إحساس داخلي Internal Feeling ؟ وما ينمي عقلية المستقبل بعد قراءة الرسالة وتفسيرهابطريقة صحيحة يسمى بفك الرموزDecoding إذا توفرت العناصر الستة المكونة للعملية التواصليةأو الإتصاليةCommunication. ومن أهم الأدوار اللغوية في نمو الفكر الإنساني ما يلي:

1. تزود الفرد بأدوات التفكير السليم: يرتبط الفكر البشري باللغة، لأنها إحدى أداته في الوصول إلى المدركات الحسية والمادية، فلا يستطيع الانسان أن يفكر تفكيراً منطيقاً في ظل غياب اللغة المدركة والواضحة، فهي ليست مجرد ألفاظ تكتب وتسمع وتقرأ، وإنما هي أداة للتفكير ووسيلة ووعاؤه(سمك1998م:26).

2. تنمية العقل الإنساني: يعتمد الفكر الإنساني على اللغة في انتزاع القضايا المنطقية والموضوعية، بالتالي هي خير وسيلة على حل مشكلات الحياة للوصول إلى التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر.

3. تحديد المعاني الذهنية للإنسان: تعتبر اللغة ناتج من نواتج الفكر الإنساني، وهي التي تحدد له المعاني الذهنية التي تساعد في تخريج الأفكار، وتكوين المقدمات واستنباط الحقائق العلمية والمعرفية من خلال الملاحظة والتعميم والتجريد.

4. تحليل الصورة الذهنية وتركيبها: اللغة هي الوسيلة التي يمكن بواستطها تحليل صورة أو فكرة ذهنية إلى اجزاء للكشف عن خصائصها، ووضعها في تركيبة خاصة تسهل من عملية فهمها أو فك رموزها كما جاء في قصة موسى عليه السلام مع أخيه هارون.

هكذا تؤدي اللغة دوراًمتعاظماً في تنمية المجتمعSocial Development: هو مصطلح عام يطلق على ممارسات النشطاء المدنيين والمواطنين المعنيين والمهنيين والتي تهدف إلى بناء مجتمعات محلية أقوى وأكثر قدرة على المقاومة.فالتنمية تعني تمكين الأفراد والجماعات بإكسابهم المهارات التي يحتاجونها لإحداث تأثير في مجتمعاتهم. وعادةً

ما تنشأ تلك المهارات بتشكيل جماعات اجتماعية كبيرة تعمل على تنفيذ أجندة عامة. ويجب أن يعي العاملون في تنمية المجتمع كيف يتعاملون مع الأفراد وكيف يؤثرون في الحالات المجتمعية في سياق المؤسسات الاجتماعية.فالذين يعملون في تنمية المجتمع عليهم أن يمتلكوا مجموعة من المهارات اللغوية للتعامل مع الحاجات المجتمعية. ومن هنا يمكن أن نتخيل الدور المتعاظم الذي تقوم به اللغة في تطوير الثقافة وفي تشكيل الأفكار وفي أنماط السلوك المختلفة.

الخاتمـــة:

أكدت الدراسة أن اللغة تشكل محور من محاور التواصل منذ القدم ولاتزال تسعى لبناء قاعدة العلاقات الثقافية والفكرية التي تساعد على نمو وتطور المجتمع، وكثيراً ما يساق تلك المعرفة في النواحي العلميةوالتكنولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية.

النتائـــــج:

- تمثل اللغة القاسم المشترك في عملية الاتصال والتواصل بين الناس.
- تتكون اللغة من مجموعة من الأصوات والإشارات التجريدية التي تشتق منها الحروف والكلمات فالجمل.
- اللغة ليست مجرد ألفاظ وعبارات تطلق، وإنما هي أداة من أدوات التنمية البشرية.
- الإنسان أكثر المخلوقـــــــــــات استخداما لألفاظ اللغة.
- تختلف العناصر اللغوية لاختلاف البيئة الطبيعية والاجتماعية.

التوصيـــات:

1. يجب الاهتمام باللغات لأنها تمثل إحدى استراتيجيات المعرفة العلمية.
2. العناية بتأصيل المناهج الدراسية التي تمثل الأساس في التفكير المعرفي.
3. الاهتمام باللغـــــــــات تدريساً وتعليماً.
4. ضرورة الالتزام بالمهارات اللغوية لكل مجتمع.
5. إنشاء جمعيات أدبية، وروابط ومجالس ثقافية واتحادات الكتاب، والجمعيات المتخصصة لرعاية اللغات وتنميتها.
6. الاهتمام بالمبدعـــــــــــين.
7. تفعيل الوحدات المتخصصة بالتعليم العالي لأداء دورها المنوط بها.

المراجـــــع:

ـ ابن منظور(1956م).لسان العرب. دار الصادر، القاهرة، ط2.

ـ الجرجاني، عبدالقاهر(1983م).دلائل الإعجـــــــاز، تحقيق محمد رضوان الداية، ومحمد فايز، دارقتيبة، دمشق، ط1.

ـ حجازي، محمود فهمي(1978م).اللغـة العربية عبرالقرون.دارالثقافةللطباعةوالنشر، القاهر، ط1.

ـ حجازي، محمود فهمي(1993م).الأسس اللغوية لعلم المصطلح.مكتبةغريب، القاهرة، ط1.

ـ حسان، تمام(1972م).مناهج البحـــــــــــث في اللغة.دارالثقافة، البيضاء، ط 2.

ـ الرازي، أبوبكر محمد(1950م).المصبـــــــاح المنير.مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2.

ـ زاهد، زهيرغازي(2000م).العربية والامن اللغوي.مؤسســــــــــة الوراق، عمان، ط2.

ـ سمك، محمد صالح(1998م).فن التدريس للتربية اللغوية.دار الفكر العربي، القاهرة، ط2.

ـ السيوطي، جلال الدين(بدون). تاريخ).المزهـــــــــــر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جادالمولى، وعلي البجاوي، وآخرون، دارالجيل، بيروت، ط1.

ـ الشورى، كمال(1985م).خواطر وأفكار دينية وإسلامية.مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط1.

ـ شوقي، جلال(1993م).المصطلـــــح العلميبينالثراءوالإغناء. مجلةمجمعاللغةالعربيةالأردني. العدد 43 ، السنةالسادســـــــة عشرة.

ـ علي، محمدمحمديونس(1993م).وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ط1.

ـ الغلاييني، مصطفى(1992م).جامع الدروس العربية.المكتبة العصرية، القاهرة، ط1ج1.

ـ الفهري، الفاسي(2003م).اللغة والبيئة. منشـــــــورات دار الوفاء، الإسكندرية، ط1.

ـ لطفي، مصطفى(1981م).اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الأنماء العربي، القاهرة، ط1.

ـ المبارك، محمد(1981م).فقهاللغـــة وخصائصالعربية.دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع، القاهرة، ط1.

ـ وافي، عليعبدالواحد(بدون تاريخ).اللغة والمجتمع. دارنهضة مصرللطباعة والنشر، القاهرة، ط1.

24 ـ G. Yule,1996. The Study of Language (Cambridge: Cambridge University Press.